ترجمة الرموز الثقافية في أدب الأطفال بين النص المصدر والنص الهدف

باية لكّال
جامعة الجزائر 2
قسم الترجمة - الجزائر -

ملخص:
عندما نتحدث عن البعد الثقافي في ترجمة أدب الأطفال نكون أمام إشكاليتين، إشكالية النص الأصلي وماذا يقصد بأدب الأطفال، وإشكالية ترجمة هذا النص الموجه إلى جمهور خاص ألا وهو المتلقي الصغير وهو الطفل. وكيف يمكن للمترجم التعامل مع هذا النوع من النصوص الأدبية في توصيل معانيه وقيمه ودلالاته التي تشكل ثقافة النص الأصلي Source text (المصدر) إلى ثقافة النص الهدفTarget text[1].

كلمات مفتاحية: ترجمة؛ رموز؛ ثقافة؛ أدب؛ طفل؛ نص.

ولا يمكن للباحث في هذا الصدد أن يتقدم في دراسة هذه الإشكالية دونما إعطاء مفهوم واضح لأدب الأطفال / ماذا نقصد بأدب الأطفال؟ انه سرد مكتوب ومنشور موجه للأطفال، ينتمي إلى نظام أدبي ذي أهداف تربوية واجتماعية ثقافية، فهو لا يقرأ للتسلية فقط أو الإبداع والخلق ومعايشة الترجمة الأدبية، وإنما يسخر كوسيلة تربوية ثقافية تؤثر تأثيرا قويا على طريقة الكتابة والترجمة معا. ولهذا تصبح الترجمة عبارة عن إعادة كتابة النص الأصلي لجمهور اللغة الهدف الذي يمثله الأطفال، كما تهدف أيضا إلى إعادة القراءة. فعند ترجمة كتاب موجه للأطفال، فإن ذلك يتطلب لغة جديدة وثقافة جديدة ومتلقيا جديدا إلى اللغة الهدف Target language الذي يمثله الأطفال[2]. ولهذا يتبنى المترجم إستراتجية معينة في الترجمة تأخذ بعين الاعتبار وظيفة النص المترجم للأطفال الذي سوف لا يهدف من ورائه القراءة الصامتة والنظر في الصور، وإنما القراءة الجهرية وبصوت عال.

وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى النداء الذي صدر عن بعض الدارسين والباحثين في ميدان الترجمة بضرورة الاعتناء بالترجمة الموجهة للأطفال أكثر من العناية بالترجمة الموجهة للكبار. من هؤلاء الباحث Bamberger وكان ذلك في 1978 [3] عندما دعا إلى أهمية ترجمة الروائع العالمية الكلاسيكية كقصص الإخوة غريم "Grimms' Tales" وقصة بينوكيو Pinocchio وآليس في بلاد العجائب Alice in wonderland معللا دعوته بأن الأطفال ينجذبون إلى النصوص القصصية وخاصة منها المترجمة لقوة تأثير الأشكال السردية فيهم خاصة منها قصص المغامرات.

وقد يحتاج الأطفال مثلهم مثل الكبار إلى معلومات ومعارف وخبرات تشكل في إجمالها الثقافة التي تمثل احتياجا أساسيا للأطفال. وتعدد المصادر التي يمكن للأطفال استقاء ثقافتهم منها والتي تندرج بدءا من الأسرة ثم الجيران فالمدرسة ووسائل التكنولوجيا. وقد تنبهت شعوب العالم إلى أهمية تقديم الأدب للأطفال فتوجه المؤلفون إلى تبسيط الأعمال الأدبية الموجهة للكبار في صورة تناسب إفهام الصغار، تأليفا وترجمة. فلا نستطيع أن نتوقع معرفة الطفل –كقارئ صغير- للثقافات الأخرى وللغات والمواقع الجغرافية التي يسهل إدراكها من طرف القارئ الكبير[4]. ولهذا حاول بعض المترجمين تكييف السياق الثقافي في أعمالهم الموجهة للأطفال والمرور من النص الأصلي إلى سياق النص الهدف بواسطة عملية تكييف وتقريب المعاني الصعبة بمرونة فائقة Greater flexibility للمتلقي الصغير كالأسماء الأجنبية والنقود والأكل والأماكن. كما ينبغي أن يكون هناك تفاعل داخلي بين المترجم والطفل القارئ باستثمار تفكير هذا الطفل ومدى تجاوبه مع العناصر التي تشكل ثقافته والتي يتم توصيلها له بالكلمات والألفاظ ذات الإيقاع والتكرار غير الممل واستخدام المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق وبناء الجمل القصيرة التصويرية المعبرة التي تجعل النص الهدف محببا لدى الأطفال تماشيا مع الفئة العمرية لهم[5].

حاول المترجمون في القرنين 18 و19 في أوروبا تبسيط مثلا روبينسون كروزو لدانيال ديفو التي صدرت في 1716 ورحلات جوليفيرلجونتان سويفت كما بسطت مسرحيات شكسبير تحت عنوان From Shakespeare tales 1807 وانطلاقا من الموقف المبسط الذي يتخذه المترجم في تعامله مع هذا النوع من النصوص ينشأ هناك اختلاف بين عالمين، عالم الرحلات الحقيقية لجوليفر كما في النص الأصلي، وعالم الأقزام الذي يغذيه الخيال والفانتازيا وهو الأسلوب المفضل والملائم للأطفال، وهو عالم مليئ بالانتصارات والأشياء الرائعة. إذ تتم الترجمة بتحويل المخلوقات الموجودة في النص الأصلي إلى كائنات غريبة في النص المترجم كصورة الأقزام التي تختلف عن بقية المخلوقات العادية حيث يقوم المترجم بالتركيز على وصفهم الخارجي وحجمهم المصغر، لكن بالحفاظ على القيم التي تشير إلى المعاني الحسنة مقابل السيئة بأسلوب مفهوم بسيط يعتمد على حذف بعض السلوكات التي لا يستطيع الطفل إدراكها ووعيها.

فإذا كان الوصف الدقيق والمفصل يشكل الهدف من النص الأصلي الموجه للكبار لغاية النقد، فإن المترجم يحاول في حالة الترجمة للصغار تبسيط واختزال تلك الأوصاف والتفاصيل وتحويلها في وظيفتها فتصبح تستجيب للمتعة والخيال والمغامرة والجمال والانتصار والثراء والقوة وغيرها من المعاني المشوقة التي تغذي خيال الأطفال، كتحويل القيم الإيديولوجية الواردة في النص الأصلي مثل تفوق الحضارة الغربية بالأسلحة ماديا والقيم المسيحية الإنجيلية معنويا وروحيا[6]، إلى معان تظهر فيها ضرورة اعتماد الإنسان على قدراته الذاتية والعيش في تناغم وانسجام وسلام مع الطبيعة بعيدا عن مظاهر الآلة المدمرة التي أفرزتها الحضارة الغربية.

كما حاول المترجمون الذين قاموا بتقديم ونقل نص "رحلات جوليفر" Gulliver travels في القرن 18 وبداية القرن 19 إلى الأطفال بتحويله من أسلوب السخرية إلى أسلوب المغامرة التي تعد أسلوبا محبوبا لدى الأطفال وذلك بواسطة تقنية التعميم والتشخيص والمعاكسة والمقابلة عن طريق معالجة Manipulation النص في

شخصياته وتحويلها مثلا إلى أقزام Drawfs، وذلك لإنجاز نص مترجم ينشأ مختلفا عن الأول لاحتوائه على أساليب منتقاة من طرف المترجم لصالح الأطفال[7].

أما في الأدب العربي، لجأ المثقف العربي في منتصف القرن 19 إلى الترجمة لتشكيل اللبنة الأولى في صرح أدب الطفل نتيجة غياب إنتاج أدبي موجه إلى الطفل. قام على إثرها المترجمون العرب بنقل روائع العالم الغربي منها روبنسون كروزو، ورحلات جوليفر والقبعة الحمراء وأوليفر تويست لتشارلز ديكنز وخرافات لامارتين وغيرها من القصص*.

وكان من نتيجة احتكاك الطفل العربي بالأدب المترجم أن بدأ يتعرف على نصوص أدبية تعبر عن بيئة مغايرة وناقلة لرؤيتها للطفل وللعالم. ويتجسد الجانب الإيجابي من هذا الانفتاح في تعرف الطفل على ثقافات شعوب العالم وعاداتها في قصص مشوقة تجلب انتباهه ويسهل عليه استيعاب المعلومة دون أن يشعر بأنها دروسا تعليمية. بحيث يعلم الأدب المترجم الطفل حب الاستطلاع والتعرف على ما يحيط به، كما يغرس فيه مبدأ التسامح وقبول الآخر على الرغم من اختلاف الثقافات. كما قد يصبح الأدب المترجم أيضا خطرا يهدد المجتمع العربي برمته عند ما يبث قيما تتنافى مع مبادئنا فيتحول الأدب المترجم وسيلة اختراق ثقافي هدفه زرع أفكار دخيلة على مجتمعاتنا العربية والتي لا تتماشى مع أعرافنا كصورة العائلة التي يرسمها الأدب الغربي المترجم مفككة في حين تدعو أعراف المجتمع العربي والديني الإسلامي إلى ضرورة التماسك الأسري. إن كل أمة تنتج أدبا لأطفالها تأليفا وترجمة يعكس ثقافتها الخاصة ونظرتها للعالم من خلال رصد سلوك أفراد المجتمع وقيمهم لإعداد أجيال متشبعة بقيم مجتمعاتها وأوطانها. لكن الثقافات القوية تغزو ثقافات الأمم الصغيرة التي تجد نفسها تتخلى شيئا فشيئا عن هويتها وتذوب في تلك الثقافات الطاغية بحجة الحضارة. لكن الانتقاء الأنسب والواعي والمدروس لترجمة النماذج الأدبية الموجهة للأطفال سوف يعمق مصادر ثقافتهم ويعزز شخصيتهم.

من الأمثلة التي يمكننا تقديمها لكم ترجمة بعض النماذج من قصص لافونتين Jean de la Fontaine إلى اللغة العربية، وهي قصص تصور الحاكم وحاشيته بتوظيف كل الحيوانات لانتقاد السلطة بطريقة رمزية، ويتمثل الجانب الفلسفي من الخرافات في رغبة الشاعر في الكشف عن دوافع ونتائج سلوك الإنسان في تعامله مع غيره وهي تقوم على الصور الخيالية والدرس الأخلاقي وقد جاءت خرافات Les fables لافونتين في 12 كتابا.

قام محمد عثمان جلال بترجمة هذه الخرافات بعنوان "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ". كما ترجمها أيضا نقولا أبوهنا بعنوان "أمثال لافونتين" 1995. تتميز ترجمته بالتشكيل لمساعدة الأطفال على القراءة، كما ضمنها تذييلا يشرح فيه المعاني اللغوية ومجريات الأحداث التاريخية والميثولوجية لتقريب المعنى الأصلي من القارئ**.

أول ما نلاحظه في الترجمة هو عنوان هذه الخرافات، إذ يتميز العنوان الفرنسي بالبساطة لأنه يكشف لنا طبيعة النص وصاحبه Les Fables de Jean de la Fontaine، في حين ابتكر المترجمان العنوان في اللغة العربية بأسلوب رمزي دلالي معتمدين على تغيير النظرة واقتناص اهتمام المتلقي الصغير.

لقد صاغ جلال عنوانه في شكل صورة حسية بقوله :"العيون اليواقظ" وهي كناية عن الفطنة لجلب انتباه الطفل وتحريضه على القراءة للاستجابة لفضوله. ويأتي الشطر الثاني من العنوان "في المثال والمواعظ" عبارة عن أمثال تلقن دروسا وعظيه[8].

ترجم أبوهنا العنوان حرفيا "أمثال لافونتين" إلا أنه استبدل كلمة Fables بـ"أمثال" فعوضا أن يوظف الكلمة الدالة عن طبيعة الشكل الأدبي الذي يترجمه، راح ينقل وظيفة النص المتمثلة في تقديم العبر الناتجة عن خبرة وتجربة ماضيه تناقلتها الأجيال عبر الزمن واحتفظت بها لأنها صادقة. وقد نسب المترجم الأمثال إلى صاحبها "لافونتين" لينبه القارئ بأنها نابعة من ثقافة مغايرة[9]. فالمترجم هنا

أراد أن يصوغ عنوانا يخدم الوظيفة التعليمية باستخدام محسوسات لإحداث الوقع والتأثير على المتلقي الصغير.

وتظهر هذه المعالجة التي قام بها المترجمان من خلال الأمثلة التطبيقية من قصة الأرنب والسلحفاة Le lièvre et la tortue[10].

المثال الأول:

- Rien ne sert de courir, il faut partir à point.
- Le lièvre et la tortue en sont un témoignage.
- **ترجمة جلال:** حكاية ترجمتها بالعربي في سلحفاة تسابقت مع أرنب.
- **ترجمة أبوهنا:** ما قوة الركض تجدي، إن تشأ سفرا فسر بميعاده واحذر من الكسل وان مصداق قولي ما حكوه لنا عن أرنب وسلحفاة من المثل[11].

يذكر جلال في بداية البيت بأنه يترجم قصة سباق جمع بين السلحفاة والأرنب في حين ترجم أبوهنا حرفيا البيت الأول مستشهدا بتقديم العربية المتمثلة في عدم التكاسل والبدء في العمل. ويتخذ المترجم شاهدا على قوله بضرب المثل الذي يحكي قصة الأرنب والسلحفاة بعبارته: "وان مصداق قولي ما حكوه لنا عن أرنب وسلحفاة من المثل".

المثال الثاني:

Savoir quoi, ce n'est pas l'affaire ;
Ni de quel juge l'on convint.
Notre Lièvre n'avait que quatre pas à faire ;
J'entends de ceux qu'il fait lorsque prêt d'être atteint

- **ترجمة أبوهنا:**

وليس من همنا عرفان ما ارتهنا ولا المحكم في سبق، فلا تسل.
فأربع من خطى المحضار أرنبنا تكفيه حتى ينال الفوز بالنقل.

حذف جلال هذا المقطع الذي يتحدث عن عدم مبالاة الأرنب بالمكسب ولا بالحكم لأنه متأكد من نفسه فما عليه إلا أن يقوم بأربع

خطوات حتى يفوز. ونرى ترجمة أبوهنا موفقة أكثر لأنه يبين للقارئ أن الهدف من هذا السباق ليس ما سوف يجنيه السابق الرابح، وإنما المغزى الأخلاقي.

ويمكن الملاحظة بأن Les Fables كما يسميه أبوهنا الأمثال وجلال بالخرافات تحمل في طياتها مدلولات ثقافية تشمل القيم الدينية والأخلاقية والقيم الجمالية والأكل والحكم والأمثال والطرب والعواطف والأماكن الجغرافية وأسماء العلم والعلاقات الاجتماعية.

وقد حاول المترجمان تكييفها أثناء ترجمة نص الخرافات من اللغة الفرنسية إلى المتلقي العربي الصغير (الطفل). ومن أمثلة ذلك نذكر ما يعكس ترجمة القيم الدينية (هلال العيد) ويظهر ذلك في قصة الغراب والثعلب Le corbeau et le renard.

Maitre Renard par l'odeur alléché.

- **ترجمة جلال:** فشمها الثعلب من بعيد *** ما رآها كهلال العيد
- **ترجمة أبوهنا:** فوافاه مستروحا ثعلب *** يهيج حشاه بمثل الضرم

ومن أمثلة تحويل القيم الجمالية في عملية الترجمة نذكر ما يلي:

Que vous êtes joli ! que vous me semblez beau ! (p54)

- **ترجمة جلال:** وجهك هذا، أم ضياء القمر
- **ترجمة أبوهنا:** لعمري انك باهر الشكل ** بديع الملامح من غير ذم

أخذ الثعلب يمدح الغراب ويقول "Que vous êtes joli ! " وترجمها أبوهنا قائلا: "إنه باهر الشكل" أما جلال فراح يشبه وجه الغراب بضياء القمر، والقمر رمز الجمال في الثقافة العربية ومعناه أكثر قربا من المتلقي العربي الصغير شكلا وجمالا.

المثال الثالث:

Sans mentir, si votre ramage
Se rapporte à votre plumage.

- **ترجمة جلال:** الله ما أحلاك حين تنجلي ** صوتك أحلى من صوت البلبل
- **ترجمة أبوهنا:** فلو أن صوتك ناسب ريشك حسنا.

حافظ جلال على روح النص لكن بصيغة عربية حتى يغرس في نفس الطفل الدرس الأخلاقي معتمدا على الثقافة العربية. فلم يكن هذا المقطع موجودا في النص الأصلي.

جعل المترجم الثعلب يواصل مدحه للغراب واصفا صوته بأنه أجمل من صوت البلبل. والعرب يضربون المثل بالبلبل لعذوبة صوته، فالمترجم هنا، استمد معايير الجمال من بيئتنا العربية حتى يستطيع الطفل العربي معايشة الأحداث وفق ما توحي به الدلالات الموظفة.

ومن الأمثلة الثقافية أيضا نذكر المثال الآتي على الأكل:

المثال الرابع:

Ils sont trop verts, dit-il. (p113)

- **ترجمة أبوهنا:** يا نفسي تغري إنه حامض، ما حان وقت العنب.

جعل أبوهنا الثعلب يخاطب نفسه وكأنه يحاول إقناع ذاته بالتخلي على فكرة أكل العنب " ما حان وقت العنب" لأن ذوقه حامض.

أما ترجمة جلال الآتية:

هذا حصرم *** رأيته في حلب
والفرق عندي بينه *** وبين تين العلب
فإن هذا أكله *** يشبه لحم الأرنب

كيّف هنا جلال البيت محافظا على المعنى الجوهري بصياغة تخاطب خلفية القارئ الثقافية قائلا: "هذا حصرم رأيته في حلب" ذكر مدينة حلب العربية لأنها تشتهر بماء الحصرم وهو شراب يحضر في البيت قد يكون حامضا أو مالحا ويضاف على الأكلات الشعبية. أما فاكهة التين فهي منتشرة في الوطن العربي وخاصة منها بلدان الحوض الأبيض المتوسط وتحظى بمكانة مميزة في نظام أكلنا وديننا الذي ذكرها في آيات سورة (التين والزيتون).

المثال الخامس:

Mourant presque de faim, vit au haut d'une treille

Des Raisins mûrs apparemment,
Et couverts d'une peau vermeille.

- **ترجمة جلال:** وشاهد العنقود في ** لون كلون الذهب
- **ترجمة أبوهنا:** فرأى يوما عريشا فوقه ** عنب يحكي عيون الشهب
  ظاهر النضج له قشر حكى ** بجمال اللون، لون الذهب

وصف الكاتب في هذا المقطع ظهر العنب المشهي ورسم لنا صورة دقيقة تمكننا من تخيله. ويبدأ الوصف برؤية الثعلب العنب المتواجد بالعريش العالي au haut d'une treille في حين لم ينقل جلال صورة العنب العالية. أما أبوهنا أضاف صورة بيانية حتى يزيد في تنمية خيال القارئ مشبها العنب بعيون إنسان تلمع مثل الشهب. ويهدف المترجم من توظيف الاستعارة حتى يؤكد للقارئ مدى جاذبية ذلك العنب. وتستمد هذه الصورة البيانية ماهيتها من الروح العربية في تصويرها للجمال بتشبيه لمعان العيون بالشهب، لأن العرب يملكون علاقة خاصة بالنجوم وبالشهب في الليالي الحالكة بالصحراء. وقد أصاب أبوهنا عند توظيفه هذه الصورة الحسية التي يشبه فيها عين الثعلب وذلك لتقريب المعنى من الطفل.

المثال السادس:

Et bonjour, Monsieur du Corbeau (p54)

- **ترجمة جلال:** يا غراب، يا ابن قيصر
- **ترجمة أبوهنا:** فحيا الغراب وقال له: سلام أيا صاحبي المحترم.

يفتح لافونتين القوسين للإشارة إلى كلام الثعلب ويبدأ هذا الأخير بتحية الغراب قائلا: "bonjour" التي تعني صباح الخير، أما جلال فجعل الثعلب يخاطب مباشرة الغراب واصفا إياه بـ "ابن القيصر" للدلالة على مكانته السامية. في حين رسم أبوهنا صورة ذلك الحوار قائلا: "فحيا الغراب وقال له: سلام أيا صاحبي المحترم" وهذه الصورة عربية مسلمة لأن الثعلب رمى السلام على الغراب وجعل الغراب صديق الثعلب تربطهما علاقة حميمة أساسها السلام والتسامح.

مثال عن الطرب:

المثال السابع:

Et pour montrer sa belle voix (p54)

- **ترجمة جلال:** وقال: "يا ليل" بدون اللقيمة
- **ترجمة أبوهنا:** ورام يفند ذلك المقال ** ويطرب صاحبه بالنغم

أراد الغراب في هذا المقطع الكشف عن صوته الجميل belle voix فراح المترجمان ينقلان الفكرة بروح عربية فجعل جلال الغراب يغني غناء طربا ويقول "يا ليل". وعادة ما تردد هذه العبارة مناجاة في الاستخبار أثناء الغناء في الثقافة العربية. وذهب أبوهنا في نفس الاتجاه قائلا: "ويطرب صاحبه بالنغم" التي تدل على الصوت العربي الذي يستمتع به المستمع العربي. وقد وفق المترجمان في طرحهما للفكرة بهذا الشكل حتى يجعلان الطفل العربي يعيش أحداث الخرافة بأدق التفاصيل وفي جو عربي أصيل.

وأخيرا يمكن القول بأن الاختيار الأنسب والهادف لإستراتجية ترجمة أدب الأطفال يتم بتحويل ثقافي يراعي خصوصية الطفل العربي ماديا ومعنويا، إنما هو تعبير عن الاهتمام بالواقع والمستقبل معا، وهو دليل على الوعي الحضاري للمترجم وتفتحه لثقافة الآخر لتقوية الذات ومواجهة التحديات بتقوية إحساس الطفل بثقافته وهويته.

هوامش:

1- Oittinen Riitta (1993) – I am me – I am other Tampere, University of Tampere, P11.

2- Puurtinen Tiina (1995) – Linguistic acceptability in translated children's literature – Joensu, University of Joensu, p17.

3- Bamberger, R. (1978) – The influence of translation on the development of national children's literature. Stockholm, pp: 19-27.

4- محمود الضبع - أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية - الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى - القاهرة - 2009 - ص 156.

5- باية خوجة لكّال - إستراتجية ترجمة الصورة في أدب الأطفال - مجلة دراسات أدبية - مركز البصيرة - الجزائر - العدد 10 - 2011 - ص 69.

6- أبومعال، عبد الفتاح - أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم - دار الشروق للنشر والتوزيع - الأردن- 2005 - ص 77.

7- Perrin Noel (1969) – Dr Bowdler's legacy : A History of Expurgated Books in England and America – New York- P19.

8- داوود أنس - محمد عثمان جلال صاحب إسهام في بناء المستقبل الأدبي للأجيال التي لحقت به - 2008 – بالموقع:
www.middle-east-online.com/?id

9- سمر روحي فيصل - أدب الأطفال وثقافتهم- قراءة نقدية- منشورات اتحاد الكتاب العرب -1998- بالموقع:
www.awu-dam/book/98/study98.

10- La Fontaine, Jean. Edition critique de Jean pierre Collinet Folio classique – Gallimard -1991.

11- أبوهنا، نقولا، تحقيق وتقديم: عاصي حسن - أمثال لافونتين- الأمثال والحكم في آداب الشعوب والأمم: من الأدب الفرنسي - دار المواسم- 1995.

*- اطلع الطفل العربي على الأدب المترجم من الفرنسية والانجليزية منذ منتصف القرن التاسع عشر وذلك نظرا لنشاط حركة الترجمة والاقتباس عن الآداب الأوروبية.

**- انتهى عثمان جلال من ترجمة خرافات لافونتين بين 1848 و 1854 خلال عهد الخديوي عباس باشا، وطبعها على نفقته 1870، ويقال بأنه باع حماره وكل ما يملك لتسديد ديون المطبعة.